الهاجس الأمني والانتخابات الرئاسية يضعان افغانستان على المحك!

◄ تواجه افغانستان عدة صعوبات وهي تستعد لاجراء أول انتخابات رئاسية في التاسع والعشرين من أكتوبر القادم تتمثل في تدهور الوضع الأمني الذي يعد أحد الشروط الرئيسية لإجراء الانتخابات في أجواء هادئة تقود إلى نتائج مأموله تعبر عن إرادة الافغان الذي تهافتوا على التسجيل في قوائم الانتخابات التي بلغت ١٠ ملايين ناخب من بين ١٠,٥ مليون افغاني يحق لهم التصويت في المعترك المرتقب من بينهم ٤١٪ من النساء.

عبدالملك السلال

وفيما يمثل الاستقرار الهاجس المهيمن على أجواء الانتخابات المرتقبة وشكل اختباراً حقيقياً ليس للرئيس حامد قرضاي المرشح الأفضل المدعوم من قبل الولايات المتحدة .. بل أيضاً للقوة الدولية للمساعدة الأمنية . « ايساف » التي يبلغ تعدادها ٢٠ الف جندي يقع على عاتقها مهمة ترسيخ الأمن في افغانستان ومنع هجمات طالبان المتزايدة التي تستهدف القوات الأمريكية في الأساس ومكاتب الحكومة والناخبين باعتبار أن التوتر سيزداد خلال فترة الانتخابات الرئاسية في القريب العاجل.

وينافس الرئيس قرضاي عشرة مرشحين أغلبهم من «تحالف المجاهدين» بيد أن «مفاجأة»دخول سيدة افغانية سباق المعترك السياسي الراهن وهي الدكتورة مسعودة جلال التي رشحت نفسها كامرأة وحيدة إلى استحقاق الرئاسة .. وهي نفسها التي نافست قرضاي أثناء تصويت المندوبين من «اللوياجيرغا» لصالح قرضاي المدعوم أمريكيا قبل عام بحصولها آنذاك على ١٧١ صوتاً.

ومع أن فرص فوزها ضئيله .. إلا أن برنامجها الانتخابي يتضمن تشكيل حكومة تنكوقراط شفافة تسارع بنزع اسلحة الميلشيات وتحارب المخدرات والتطرف والتمييز والفساد والمحسوبية.

العرقيات المتفجرة

أما ابرز المنافسين لقرضاي التسعة فهم الشخصيات السياسية المعروفة يتصدرهم يونس قانوني أحد أبرز قادة تحالف الشمال «الطاجيك» ووزير التربية في الحكومة الحالية.

يليه الجنرال عبدالرشيد دوستم - وهو أبرز الشخصيات السياسية في شمال افغانستان نائب وزير الدفاع في الحكومة المركزية في كابول الذي دخل المعترك الانتخابي كمنافس آخر من «تحالف المجاهدين» السابق ضد حامد قرضاي من منطلق أن قضية العرقيات المتفجرة يمكن أن تكون موضوعاً كبيراً في أول انتخابات مباشرة تشهدها افغانستان في اكتوبر المقبل.

دوستم الذي ينتمي لاقلية الاوزبك قدم استقالته من منصبه كمستشار أمني لقرضاي الذي ينتمي بدوره لقبائل البشتون كي يتفرغ لمعركة الانتخابات الرئاسية قاطعاً الطريق على قرضاي المرشح المفضل للإدارة الأمريكية الذي يسعى للحصول على اصوات غير البشتون.

ولأن دوستم في الأصل غير راض عن سياسة قرضاي في مجملها والتي تعني من وجهه نظره الشعور بالغبن والظلم تجاه الاقليات العرقية في افغانستان والتي حرمت من التمثيل في حكومة قرضاي الذي انقلب فيما بعد على القادة العسكريين من غير البشتون عندما وصفهم بانهم « أمراء حرب» وأنه ينفذ عملية غير متوازنة لنزع سلاح قوات الفصائل المتحاربة نزولاً عند رغبة الأمريكيين ، حيث اضحى قرضاي لعبة بايديهم ، قرر دوستم ترشيح نفسه لخوض ماراثون الرئاسة وقدم استقالته من منصبة أواخر الشهر الماضي - بموجب قانون الانتخابات الافغاني الذي يفرض على المسؤولين الراغبين والعسكريين في خوض الانتخابات الرئاسية ، تقديم الاستقالة قبل الترشح ، وتتبعها إجراءات أخرى تتمثل في الحصول على دعم عشرة آلاف ناخب مسبقاً وتقديم نسخه صورة لبطاقاتهم الانتخابية.

والمنافس الثالث محمد محققي - الشيعي الهزاري - احد زعماء ميلشيات حزب الوحدة.

وبقية المنافسين المرشحين الذين القوا بثقلهم في سباق الانتخابات الرئاسية .

المناخ السائد

ومع أن الدستور الافغاني يفرض على المرشحين الالتزام بعدم التحريض على التمييز العرقي ، أو اللغوي ، والديني ، وأن لا يكونوا مدعومين من منظمة عسكرية غير رسمية ، أو يحصلوا على أموال من الخارج ..فإنه يلاحظ بروز الولاءات القبلية بقوة في البرامج الدعائية للمرشحين التسعة لماراثون الانتخابات الرئاسية والتي تشهد تسخيناً ملحوظاً قبل اقترابها من موعد الحسم بعد شهرين ونصف في مناخ يسوده التوتر وتدهور الوضع الأمني وفي مجتمع قبلي - يتشكل من ثلاثة اتجاهات - البشتون وهم الغالبية وقبائل الطاجيك ، ثم الاقليات الاوزبكية - والتي في مجملها تحتكم إلى الأعراف والتقاليد القبلية المتوارثة - وفي كثير من الاحيان تحتكم إلى قوة السلاح« والكلا شينكوف» لحسم الصراع الذي غالباً ما يطول بحكم ارتهان افغانستان لمرحلة طويلة من الحروب والاحزان .

وعلى هذا الأساس فإن المجتمع الافغاني الذي تقدر فيه نسبة الأمية باكثر من ٨٠٪ يجهل الكثير عن فوائد الانتخابات الرئاسية أو التشريعية ، ولا يعير الديمقراطية أي انتباه بسبب قلة وسائل الإعلام المرئي والمسموع في هذا البلد الذي طحنته الحرب.

ومع ذلك يسعى العاملون مع الأمم المتحدة إلى اقناع الافغان بان الانتخابات أمر بالغ الأهمية يتوقف عليها مستقبلهم ، ويخوضون في تفاصيل الانتخابات الرئاسية والبرلمانية وفق برنامج للتوعية وضعته المنظمة الدولية.

وتقول الأمم المتحدة أن الحملة كانت ناجحة لأن نسبة المسجلين من النساء مثلاً ارتفعت من ١١٪ إلى ٤١٪ خلال ستة أشهر.

ويحكم البشتون افغانستان تقليدياً .. غير أن عديدين منهم تذمروا من عدم تمثيلهم في حكومة قرضاي التي تم تنصيبها بعد الاطاحة بنظام حركة طالبان أواخر عام ٢٠٠١م ، وادى دوستم دوراً رئيسياً في تلك العمليات ضد طالبان بالاشتراك مع القوات الأمريكية.

وظهر دور دوستم وهو جنرال شيوعي سابق ، كلاعب مهم خلال حرب الأعوام الثلاثة والعشرين التي آثارها غزو الاتحاد السوفييتي السابق لافغانستان عام ١٩٧٩م.

حرب طالبان وتخلي المجتمع الدولي

ويتضح مما سبق أن الواقع الافغاني الذي يطفو فوق صفيح ساخن لم يشهد تطورات ملموسة على صعيد استعادة الاستقرار والأمن وبسط هيبة النظام المركزي ، أو إعادة إعمار ما دمرته آلة الحرب على الأرض . وذلك بالرغم من كثرة التعهدات الدولية من الدول المانحة بهذا الصدد والتي قدرت تكاليف إعادة إعمار افغانستان بـ١٥ مليار دولار خلال عشر سنوات تلقت كابول ما يقرب من ثلاثة مليارات دولار من الدول المانحة حتى أغسطس ٢٠٠٣م.

وعلى صله بالموضوع لم تستطع الولايات المتحدة بعد مرور أكثر من عامين ونصف على غزو افغانستان تحقيق الوعود التي اغدقتها على الشعب الافغاني مبررة غزوها واحتلالها لبلاده ، كما أنها فشلت في انجاز اهم اهدافها من الغزو المتمثل في القضاء على حركة طالبان وفلول القاعدة كحركة سياسية وعسكرية.

فبرغم تكبد حركة طالبان خسائر واضحة في بداية الحملة العسكرية الأمريكية على افغانستان .. إلا أنها استطاعت وبسرعة فائقة إعادة تنظيم صفوفها مما أثار بعض التكهنات حول فرص عودة «طالبان» للحكم مرة أخرى.

وخاصة في ظل دعوة الرئيس الافغاني حامد قر ضاي لها بالمشاركة في الانتخابات المزمع أجراؤها في سبتمبر المقبل ، ومحاولته التفاوض مع عدد من عناصرها لتحقيق مصالحة وطنية التي رفضت بدورها رفضاً قاطعاً دعوة قرضاي عززته حركة طالبان باصدار بيان يحث الشعب الافغاني على مقاطعة الانتخابات التشريعية والرئاسية.

وهناك مجموعة من العوامل المؤشرة على فرص عودة حركة طالبان إلى الحكم ، وفي مقدمتها العامل الأمني حيث تنتمي هذه الحركة إلى « البشتون» وهم أكبر العرقيات المشكلة للمجتمع الافغاني والمؤيدة والداعمة للحركة حتى الآن .. لاسيما وأن حركة طالبان كانت تعمل على حماية البشتون من العرقيات الأخرى المتصارعة معها طوال فترة حكمها .

يضاف إلى ذلك أن الفوضى الأمنية التي تشهدها افغانستان والتي تعتبر الصراعات القائمة بين امراء الحرب احد اسبابها تشبه تلك الأوضاع التي نشأت في ظلها حركة طالبان وصعدت إلى الحكم عام ١٩٩٦م ، مما يشير إلى أن استمرار التناحر بين امراء الحرب يزيد من قدرة طالبان على المنافسة السياسية مع هؤلاء الخصوم المتقاتلين.

ولم تتوقف طالبان عند هذا الحد.. إذ أنها بعد إعادة قدراتها التنظيمية والقتالية تحالفت سياسياً مع قلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي في نوفمبر عام ٢٠٠٢م بعد أن كان الأخير أحد الأعداء التقليديين لها ، بما يعني مزيد من الدعم المالي والعسكري للحركة التي قام زعيمها الملاعمر في يونيو ٢٠٠٣م، بتعيين مجلس من عشرة أعضاء من بينهم وزير الدفاع السابق وعدد من القيادات العسكرية السابقة في جيش طالبان وذلك للاضطلاع بمهمة محاربة القوات الأمريكية والحكومة الانتقالية ، حيث لوحظ تصاعد هجمات طالبان العسكرية في الثلاثة الاشهر الأخيرة ضد القوات الأمريكية والقوات الدولية «ايساف» باستخدام اسلحة أكثر تقنية وتعقيداً مع انتقال مسرح العمليات العسكرية من جنوب افغانستان « مناطق قبائل البشتون» إلى شمال البلاد ، بما عيني زيادة تغلغل نفوذ حركة طالبان في الدولة التي أعلنت في وقت لاحق أنها تمكنت من السيطرة على ٩١ مديرية في عشرين اقليماً من اقاليم افغانستان.

كما أنها لا تتمتع بدعم داخلي فقط بل تؤيدها بعض القوى السياسية الإسلامية في الدول المجاورة.. خاصة في باكستان .

كل هذه التحديات تلقي بلاشك بظلالها على المستقبل السياسي لافغانستان ، الأمر الذي يؤكد معه أن الاستقرار في هذا البلد المنكوب بالحروب مرحل لعدة سنوات وحتى يكف زعماء الحرب على الصراع والاقتتال فيما بينهم على مصالح آنية وعلى كعكة السلطة.